

خارج إفريقيا: تحريف صورة ”الصبية التائهين“ السودانيين

براندي وتهوفت

بالرغم من الأحداث المأساوية التي مروا بها، إضافة إلى غياب أي شكل من أشكال العون؟

يؤثر الطريقة بناء إعلام الدولة المضيفة لصورة المهاجرين على نظرة الآخرين لهم، ففي الولايات المتحدة، قامت كل من الصحافة والإنترنت والمجموعات الكنسية بإعادة قص وتشكيل روايتهم الجماعية. وكانت مقالات ”الصبية التائهون“ متعاطفة ومتفهمة مع أنها كانت تميل أكثر لأسلوب الحس بالإثارة، الأمر الذي جعل من التغطية تؤثر في الكثير: فقد ظهر ”الصبية التائهون“ على برنامج

سلط الإعلام الأمريكي أضواءه بشكل مكثف على مجموعة صغيرة نسبيا من الصبية كانوا قد غادروا جنوب السودان إلى إثيوبيا. وأمضوا عقدا كاملا في مخيم كاكوما للاجئين حيث تم بعدها إعادة توطينهم في الولايات الأمريكية المتحدة سنة ٢٠٠١. ما الذي يكمن وراء قصة المشاهير –وسوء الفهم الثقافي- الذي تمت تسميتها ”الصبية المفقودين“؟

بينما كنت أعمل في برنامج إعادة إدماج ”الصبية التائهين“ في سيراكوز الواقعة في ولاية نيويورك، أدركت أن هناك تناقضات عديدة بين رواية الصحافة النموذجية لتجاربيهم الجماعية، وبين ذاكرة الأفراد. فكانت المقالات السلسلة قد ركزت على الوحدة والتحمل والترحال الذي مر به الصبية، بينما تجاهلت وبشكل صارخ أسئلة مثل: كيف حدث أن عددا كبيرا من القاصرين الذكور - دون وجود أية أنثى- انفصلوا عن عائلاتهم، وتكمنوا من البقاء على قيد الحياة

تتوافق مع نتائج أبحاث علم الإنسان المتعارف عليها: فالصبي في جنوب السودان لا يجلس في قريته دون حراك، بل يحتاج لأن يجول البرية لكي يطعم قطعان الماشية التي تمتلكها عائلته. ويتوقع عادة من الأحداث الذكور أن يدافعوا عن أنفسهم وأن يقوموا ببناء روابط وثيقة مع الذكور الآخرين. وكان عدد كبير منهم في مخيمات رعاية المواشي عندما تمت مهاجمة قراهم، الأمر الذي حال دون عودتهم. فهل قاموا حقا بالانطلاق في هذه الرحلة الملحمية، بشكل عفوي ودون أن يكون لديهم بوصلة أو معرفة جغرافية؟

شكك باحثوا رادان بينرد بالرواية الساذجة في تقرير تم نشره سنة ١٩٩٤، حيث اقترح التقرير بأن أفرادا تابعين للجيش الشعبي لتحرير السودان -المعارضة الرئيسية في السودان والتي تقود حكومة جنوب السودان الحالية- ساعدوا الصبية على الوصول إلى مخيمات اللجوء الإثيوبية. وأكدت المقابلات التي قمت بإجرائها على أن "الصبية الضائعين" جالوا هنا وهناك على غير علم بتحركات القوات التابعة لحكومة السودان، وعلى عكس ما قيل بأنه تم تزكيمهم لمواجهة مصيرهم دون أي عون يذكر، قال الصبية بأن بعض الرجال عادة ما كانوا يرافقونهم، إضافة إلى أن رجال آخرين كانوا يساعدونهم ويدلونهم على الطريق. قال أحد الصبية الذي كان يبلغ السادسة من العمر في ذلك الوقت أنه أمضى معظم الرحلة محمولا من قبل عمه.

يروى "الصبية" (سابقا) قصة يتغلبون فيها على المصاعب والمآسي بفضل جهودهم، وبفضل دعم الآخرين لهم، ويروون عن القرارات التي تعين عليهم أخذها لكي يبقوا على قيد الحياة، ويحققوا أهدافهم. أما المقالات والأفلام، فهي تتجاهل العون الذي تم تقديمه إليهم، وتصفهم بأنهم ضحايا كانوا يقبعون تحت رحمة القدر، إلى أن "اكتشفهم" المجتمع الدولي، وقام بإحضارهم في نهاية المطاف إلى الولايات المتحدة.

واجه الكثير منهم حياة صعبة في الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أن بعضهم تخرج من الجامعات، إلا أن الحصول على التعليم كان أصعب مما كان متوقعا. وكانت وكالات إعادة التوطين والمجموعات الكنسية قد قررتا بأن كثيرا منهم تخطى سن التعليم الثانوي، الأمر الذي أجبرهم على شغل وظائف ذات رواتب متدنية بالكاد تسمح على بدفع التكاليف المعيشية اليومية، وإكمال التعليم الثانوي، وإرسال الدعم المادي لأقاربهم الموجودون في السودان، أو الذين ما زالوا يقبعون في كاكوما.

تدرس براندي وتوهوف (bwitthof@maxwell.syr.edu) الدكتوراه في جامعة سيراكوز.

١. www.lostboysfilm.com
٢. site/newsweek/9VA0٩٥/www.msnbc.msn.com/id...
٣. 10Alostboyspage.html/www.redcross.org/news/in/africa...
٤. www.lostboysofsudan.com



نتيجة لأكل الخضراوات البرية، والطين من أمنا الأرض، وشرب البول الذي كان يخرج من جسدي.

الصورة الجامدة التي عززتها وكالات الغوث الأمريكية:

"قام حوالي ٢٦ ألف من الصبي بمغادرة قراهم في جنوب السودان -كما حدث مع بيتر بان وأتباعه- هربا من أحداث العنف هناك... لاقى أثناء الرحلة آلاف الصبية مصرعهم إما غرقا، أو كانت الحيوانات المفترسة قد التهمتهم، أو من قبل قوات الجيش التي أطلقت النيران عليهم، أو جراء الجوع أو الجفاف أو الإعياء... قام الصبية الأكبر سنا -تراوحت أعمارهم بين سن التاسعة والعاشر من العمر- بالاعتناء بالصبية الأصغر سنا، وقامت زمر صغيرة من الصبية بتشكيل مجموعاتهم العائلية الخاصة. إلا أن الإعانة الوحيدة التي كانوا يتلقونها تمثلت بالغذاء والماء التي كانت المروحيات التابعة للصليب الأحمر تنزلها لهم."

الصليب الأحمر الأمريكي

"شق الصبية التي لم تتجاوز أعمارهم السن السادسة أو السابعة طريقهم إلى إثيوبيا هربا من الموت والعبودية أو التجنيد القسري في الجيش الشمالي. وقام هؤلاء الصبية بالسفر مشيا على الأقدام مسافة آلاف الكيلومترات عبر مناطق تكثر فيها الأسود والتماسيح، وكانوا يضطرون خلالها لأكل الطين لدفع الجوع والعطش. إلا أن نصف كان لاقى حتفه خلال سنوات هيامهم العديدة التي سبقت وصولهم إلى مخيم كاكوما للاجئين في كينيا."

لجنة الإنقاذ الدولية

تقترح المقابلات التي تم إجراؤها مع أفراد من "الصبية الضائعين" أن الحقيقة كانت مغايرة تماما، حيث أنها

"أوبرا وينفري" الشهير وقاموا بحصد كم هائل من التبرعات والمساعدات. وبالرغم مما قامت به الصحافة، إلا أنها أيضا جردت أعضاء المجموعة من إنسانيتهم، حيث علقت الصحافة على الظروف التي ترك فيها الصبية بيوتهم، بإعطاء الانطباع بأنهم كانوا قد أجبروا على مغادرة مجتمعاتهم وأنهم تعرضوا لهجوم القوات الموالية للحكومة العربية المسلمة في السودان.

الإعلام والإنترنت مليان بالمغالطات:

"قامت مجموعة مكونة من ٢٠ ألف صبية بالترحال معا عبر الصحراء طلبا للأمن. وأصبحت هذه المجموعة تعرف بـ"صبية التائهين". وكان الصبية قد عبروا مئات الكيلومترات في صحراء قاحلة، واجهوا فيها نيران العدو وهجمات الأسود والحيوانات المفترسة والجوع القاتل، حيث لقي آلاف الصبية مصرعه أثناء الرحلة. إلا أن الناجين وجدوا ملاذا آمنا في مخيمات لاجئين كينية وإثيوبية. ولأن احتمال السلام يكاد معدوما في السودان، وبسبب كونهم دون عائلات تعتني بهم، أو مستقبل ينتظرهم في المخيمات، قررت حكومة الولايات المتحدة إحضار "الصبية التائهين" إلى أراضيها في ٢٠٠١، حيث تم إعطاء ٤ آلاف طفل أوضاع لجوء ذات أولوية عالية لكي يباشروا الاستقرار على الأراضي الأمريكية حيث امتدت أماكن سكنهم الجديدة من هيوستون إلى مدينة كنساس، ومن سان جوزيه إلى لتل روك."

مادة دعائية لفيلم "الصبية التائهون".

"كصبي في السابعة من عمره، ركضت الليل كله بقدمين وجسد عاري لكي أنضم مع أفواج الصبية الآخرين هربا من الموت والعبودية... حل الرصاص مكان مأكلا ودوائنا، مأوانا وحتى آبائنا. تمكن من البقاء على قيد الحياة